العمل النسائي المأجور وتغير التصورات النمطية للمواقف الدينية المعارضة لخروج المرأة القروية إلى الفضاء العام منطقة السهول -سلا أنموذجا

دة. خولة بنشريفة

باحثة في علم الاجتماع
أستاذة زائرة بالمدرسة العليا للأساتذة
جامعة مولاي إسماعيل بمكناس

ملخص:

تهدف هذه الورقة إلى تسليط الضوء على إشكالية خروج المرأة القروية للعمل المأجور وتغير التصورات النمطية للمواقف الدينية المعارضة لخروجها إلى العمل، وذلك من خلال دراسة ميدانية في منطقة السهول بسلا. باعتبارها مجالا قرويا تتقاطع فيه البنى التقليدية مع المرجعيات الدينية في تشكيل نسق معياري يحدد أدوار النوع الاجتماعي وحدود الحضور النسوي في الفضاء العام.

اعتمدت الدراسة على مقاربة كمية، حيث كانت الاستمارة وسيلتنا لجمع المعطيات الميدانية، ثم تحديد حجم العينة في 200 امرأة، ثم اختيار المشاركات بطريقة قصدية وفق معيارين: العمل المأجور والانتماء لجماعة السهول. وتم استخدام اختبار كاي تربيع لتحليل العلاقة بين طبيعة العلاقة بين المتغيرات السوسيو-اقتصادية المرتبطة بالعمل المأجور وتغير التصورات النمطية للمواقف الدينية المعارضة لخروج المرأة للعمل المأجور.

بينت النتائج أن تغير الصور النمطية للمواقف الدينية ليس عملية خطية أو تصادمية، بل هو نتاج تفاوض اجتماعي معقد تتداخل فيه اعتبارات سوسيو-اقتصادية ورمزية أبرزها الوضع الاعتباري للمرأة ولا سيما موقعها كأم، كمتغير وسيط يمنحها شرعية اجتماعية للخروج إلى الفضاء العام، في حين يساهم الاستقلال الاقتصادي في تعزيز قدرتها التفاوضية داخل الأسرة، ويوفر الدعم الأسري غطاء اجتماعيا يحد من فاعلية الخطاب الديني المعارض. وقد خلصت الدراسة إلى أن العمل المأجور لا يمثل بالضرورة قطيعة مع المرجعية الدينية السائدة. بل يشكل آلية لإعادة إنتاج المعايير الدينية والاجتماعية التي يتلاءم مع التحولات الاجتماعية والاقتصادية التي يشهدها المجتمع.

الكلمات المفتاحية: العمل المأجور - التصورات النمطية، المواقف الدينية - المرأة القروية.

Résumé:

Cette étude vise à mettre en lumière la problématique de l'entrée des femmes rurales dans le travail salarié et l'évolution des représentations stéréotypées liées aux positions religieuses opposées à cette participation. Elle s'appuie sur une étude de terrain menée dans la région de la plaine de Sala, un espace rural où les structures traditionnelles et les référentiels religieux s'entrecroisent pour façonner un système n°rmatif définissant les rôles de genre et les limites de la présence féminine dans l'espace public.

L'étude a adopté une approche quantitative. Le questionnaire a été n°tre outil de collecte des données de terrain. La taille de l'échantillon a été fixée à 200 femmes, sélectionnées de manière raisonnée selon deux critères: l'exercice d'un travail salarié et l'appartenance à la commune de la plaine de Sala. Le test du khi-carré a été utilisé pour analyser la relation entre la nature des liens unissant les variables socioéconomiques liées au travail salarié et l'évolution des représentations stéréotypées des positions religieuses hostiles à la sortie des femmes pour un travail salarié.

Les résultats ont montré que le changement des attitudes religieuses n'est ni un processus linéaire ni conflictuel, mais plutôt le produit d'une négociation sociale complexe où s'entremêlent des considérations socioéconomiques et symboliques. Parmi celles-ci, le statut social de la femme, et particulièrement sa position en tant que mère, apparaît comme une variable intermédiaire lui conférant une légitimité sociale pour investir l'espace public. Par ailleurs, l'indépendance économique contribue à renforcer son pouvoir de négociation au sein de la famille, tandis que le soutien familial offre une couverture sociale qui limite l'efficacité du discours religieux opposant. L'étude a conclu que le travail salarié ne représente pas nécessairement une rupture avec le référentiel religieux dominant, mais constitue plutôt un mécanisme de reproduction des n°rmes religieuses et sociales, en les adaptant aux transformations sociales et économiques que connaît la société.

Mots-clés: Travail rémunéré - Représentations stéréotypées - Attitudes religieuses - Femme rurale.

تقديم:

شهد المجتمع القروي المغربي، منذ عقود، تحولات بنيوية كبرى طالت كل مناحي الحياة، وكان للمرأة القروية النصيب الأوفر من تأثيرات هذه التحولات. فلم تعد القرية ذلك المجال المنغلق على ذاته، المحكوم بأنماط إنتاج تقليدية وعلاقات أبوية صلبة، بل أصبحت منفتحة على محيطها،

متأثرة بمتغيرات السوق، ومتدفقة عليها الموجات الإعلامية والثقافية[1].في خضم هذا السياق المتغير، برزت ظاهرة خروج المرأة القروية إلى العمل المأجور كأحد أبرز مظاهر التحول وأكثرها إثارة للجدل.

فرض خروج المرأة إلى العمل المأجور إعادة النظر في الأدوار التقليدية لكل من الرجل والمرأة، لانتقالها من الفضاء الخاص (المنزل) إلى الفضاء العام (سوق العمل، الحقل، المؤسسات). غير أن هذا الانتقال لم يخلُ من صراعات وتوترات، أبرزها تصادمه مع مواقف دينية وثقافية راسخة تعتبر خروج المرأة للعمل مخالفا للأعراف والثوابت[2]. وكما تشير الأدبيات السوسيولوجية، فإن العلاقة بين التدين والمواقف من مساواة المرأة ليست علاقة خطية أو أحادية، بل هي علاقة جدلية تتوسطها متغيرات سياقية متعددة، أهمها البنى السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي تؤطر حياة الأفراد[3].

تاريخيا، لم تكن المرأة القروية عاطلة عن العمل، بل كانت تمارس أنشطة إنتاجية مختلفة داخل نطاق الأسرة والحقل، لكن ضمن إطار العمل العائلي غير المأجور. هذا النوع من العمل كان ينظر إليه كامتداد لواجباتها الأسرية، ولا يمنحها استقلالية اقتصادية ولا يحول دون هيمنة السلطة الذكورية[4]. هكذا، يندرج العمل غير المأجور في الحقل العائلي ضمن اقتصاد الرعاية غير المرئي الذي يحمل للمرأة دون أن يترجم إلى مكانة اجتماعية أو قوة تفاوضية داخل الأسرة.

لكن التحول إلى العمل المأجور (في الضيعات الفلاحية الكبرى، أو المصانع، أو الخدمات) يختلف جوهريا. إنه انتقال من العمل اللامرئي اقتصاديا أي بغير أجر إلى العمل الظاهر والمقدر بأجر، ومن التبعية داخل البيت إلى الفردانية الاقتصادية النسبية. هذا الانتقال هو الذي يخلق الصراع مع النظام الأبوي، لأنه يمنح المرأة مصدر دخل مستقل، ويخرجها عن سيطرة الذكور

1. أنظر
- Moghadam, Valentine M. Modernizing Women: Gender and Social Change in the Middle East. 3rd ed., Lynne Rienner Publishers, 2013.
- Spierings, Niels. Women's Employment in Muslim Countries: Patterns of Diversity. Palgrave Macmillan, 2015.

2. Sidani, Youssef. "Women, Work, and Islam in Arab Societies." Women in Management Review, vol. 20, n°. 7, 2005, pp. 498-512.

3. أنظر
- Glas, S., Spierings, N., Lubbers, M., & Scheepers, P. (2019). How polities shape support for gender equality and religiosity's impact in Arab countries. European Sociological Review, 35(4), 1-17
- Charrad, Mounira M. Gender in the Middle East: Islam, State, Agency. Annual Review of Sociology, vol. 37, 2011, pp. 417-437.

4. Moghadam, Valentine M. Modernizing Women: Gender and Social Change in the Middle East. 3rd ed., Lynne Rienner Publishers, 2013.

(الأب، الزوج، الأخ) لساعات طويلة[1]. في هذا السياق، يلاحظ أن الاستقلال الاقتصادي النسبي للمرأة يُحدث تغيرا في ميزان القوى داخل الأسرة، مما يفسر المقاومة التي تواجهها من الخطابات الدينية والثقافية المحافظة[2].

إشكالية الدراسة:

إن الإشكاليات التي تثار حول عمل المرأة -كالاختلاط، والخروج من المنزل، والتأثير على الحياة الأسرية- هي إشكاليات تتعلق بلوازم العمل وليس بذات العمل، حيث لا يوجد في نصوص الكتاب والسنّة منع من حق التكسب للمرأة من حيث المبدأ، وإنما تنشأ مواقف التحفظ من اللوازم والآثار التي تصاحب عملها، مما يعني أن البحوث الفقهية تدور حول هذه المحاذير المصاحبة، ومدى تأثيرها على الموقف الشرعي، مع إمكانية توفر المرأة على عمل خال من جميع المحاذير المفترضة، الأمر الذي يجعله جائزا[3]. هذا التمييز بين أصل العمل ولواحقه يفتح المجال لتصور نموذج لعمل المرأة يتوافق مع الضوابط الشرعية دون تعطيل لطاقاتها الإنتاجية.

تكمن الإشكالية المركزية لهذه الدراسة في سؤال جوهري: هل يؤثر خروج المرأة القروية إلى العمل المأجور (المادي) في تغير التصورات النمطية للمواقف الدينية المعارضة (الرمزي)؟ ليست هذه العلاقة مباشرة أو آلية، بل هي علاقة جدلية معقدة، تتخللها صراعات وتفاوض يومي. فالتصورات النمطية المبنية على الأساس الديني، كمرجعية ثقافية كبرى، لا تختفي بمجرد حصول المرأة على راتب. بالعكس، غالبا ما تستمر كخطاب معارض، أو كسلطة أخلاقية تمارس ضغوطها على المرأة العاملة. لكن السؤال الذي تطرحه هذه الدراسة هو: تحت أي ظروف تتغير هذه التصورات النمطية للمواقف الدينية المعارضة لخروج المرأة للعمل في الفضاء العام؟ وأي العوامل الاجتماعية والاقتصادية تساهم في تغييرها؟

تنطلق الدراسة من فرضية رئيسية مفادها أن تغير التصورات النمطية المبنية على أساس المواقف الدينية ليست مجرد انعكاس ميكانيكي للعمل المأجور، بل هي نتاج تفاوض اجتماعي معقد، تتوسطه مجموعة من المتغيرات السوسيو-اقتصادية والرمزية. ليست كل امرأة عاملة متساوية في قدرتها على مواجهة هذه التصورات المعارضة لخروج المرأة للعمل. فبعض النساء يمتلكن رأسمالا اجتماعيا أو رمزيا يمكنهن من تجاوز هذا الخطاب، بينما أخريات يظلن أسيرات

1. Sidani, Youssef. "Women, Work, and Islam in Arab Societies". Women in Management Review, vol. 20, n°. 7, 2005, pp. 498-512.

2. Mernissi, Fatima. Beyond the Veil: Male-Female Dynamics in Modern Muslim Society. Indiana University Press, 1987.

3. حب الله، حيدر. عمل المرأة. دراسة في ضوء معطيات الفقه الإسلامي. مجلة العلوم الشرعية، 2014، ص 2-4.

له. سنحاول من خلال هذه الورقة اختبار هذه الفرضية انطلاقا من المعطيات الميدانية التي تم جمعها، وتحليل العلاقة بين العمل المأجور وتغير الصور النمطية للمواقف الدينية من خلال متغيرات وسيطة: استقرار العمل - الوضع الاعتباري للمرأة (الأمومة) - الدعم الأسري (المعيل الآخر) - الاستقلال المادي.

بهذا التحليل، نسعى إلى تجاوز النظرة الثنائية (دين معارض/عمل محرر) إلى نظرة أكثر تركيبا، تبرز كيف تعيد المرأة القروية، عبر ممارستها اليومية للعمل المأجور، إنتاج المعايير الدينية والاجتماعية بما يتناسب مع واقعها الجديد، وكيف تحول نفسها من مجرد موضوع لهذه المعايير إلى فاعل في تشكيلها.

منهجية الدراسة :

تكتسي منطقة السهول بسلا، التي تندرج في المجال القروي المحيط بالعاصمة الرباط، أهمية خاصة لرصد هذه التحولات. فهي منطقة تتقاطع فيها خصائص المجتمع القروي التقليدي (التمسك بالأرض، هيمنة العلاقات الأسرية والقبلية، حضور قوي للمعايير الدينية والثقافية) مع قربها من الحواضر الكبرى، مما يخلق احتكاكا يوميا مع أنماط الحياة الحديثة. هذا التقاطع يجعل من المرأة السهلية نموذجا لدراسة الصراع بين قيم الانفتاح والاندماج التي يفرضها العمل المأجور، وقيم الانغلاق والخصوصية التي تكرسها التصورات التقليدية والمواقف الدينية الراسخة.

ولتحقيق الدراسة الميدانية، اعتمدت في بحثي على مقاربة كمية، وتم انتقاء المشاركات في البحث بطريقة قصدية وفق معايير محددة، هي العمل المأجور والانتماء إلى جماعة السهول. وقد مكنتني معرفتي الميدانية الجيدة بمجتمع البحث من اختيار المبحوثات مباشرة من مختلف مشيخات جماعة السهول، ليشمل العدد الإجمالي 200 امرأة موزعات على كافة تراب الجماعة.

اعتمدت الدراسة المنهج الكمي، حيث كانت تقنية الاستمارة وسيلتنا لجمع المعطيات الميدانية للبحث، حيث شملت المتغيرات المستقلة (استقرار العمل، الدعم الأسري، المساهمة المادية للمرأة، والمشاركة في الأنشطة الفلاحية)، والمتغير التابع المتمثل في درجة تغير التصورات النمطية للمواقف الدينية المعارضة لخروج المرأة للعمل المأجور (مقاسة بمقياس ليكرت الخماسي). ولتحليل المعطيات الميدانية، تم الاعتماد على برنامج التحليل الإحصائي SPSS عبر تقنيات إحصائية متعددة شملت التحليل الوصفي للخصائص السوسيوديمغرافية، واختبار كاي تربيع لتحليل العلاقات بين المتغيرات، وذلك من اختبار الفرضيات والتحقق من العلاقات السببية بين المتغيرات، وإضفاء الطابع العلمي على النتائج المحصل عليها.

مفاهيم الدراسة :

العمل المأجور: يعد مصطلح العمل مرادفا لكلمة العمل المأجور في معظم الكتابات السوسيولوجية[1]، حيث يحدد المنظور السوسيولوجي مفهوم العمل بأنه أي نشاط أو جهد موجه نحو انجاز هدف معين، وكما ينطوي على النشاط العقلي واليدوي معا[2]. كما يعرف بأنه توفير للجهد الجسماني، والعقلي، والعاطفي اللازم لإنتاج السلع والخدمات، سواء لاستهلاك الشخصي، أو لكي يستهلكها الآخرون[3]. حيث أن العمل كمستخدم مقابل اجر أسبوعي أو مرتب شهري وفقا لشروط وفي ظل ظروف يحددها صاحب العمل. وقد يخضع صاحب العمل في تحديده لتلك الشروط والظروف لقوانين العمل، أو اتفاقيات المساومة الجماعية، أو الضغوط التي تمارسها النقابات العمالية. ويستخدم هذا المصطلح عادة لتأكيد الوضع التفاوضي الضعيف لؤلئك الناس الذين ليس لديهم سوى قوة عملهم ليبيعونها، وقد يقعون بسبب ذلك ضحية الاستغلال[4].

ونقصد بالتصورات النمطية المبنية على أساس المواقف الدينية-في سياق هذه الدراسة- بالسياقات التي يعد فيها الدين الإسلامي مرجعا للسلوكيات والمعايير التي تشكل عائقا أمام خروجها من المنزل إلى العمل المأجور، كارتداء الحجاب قبل خروجها للعمل المأجور باعتباره مرجعا معياريا للسلوك والتوجه في الإسلام. وعدم مخالطة الرجال في الفضاء العام وفضاءات العمل على أساس أنها تعتبر فتنة وتشكل لدى البعض قلقا وتوترا جنسانيا.

أولا : عمل المرأة بين المشروعية الدينية والهيمنة الذكورية : قراءة سوسيولوجية في التصورات النمطية والعنف الرمزي

من الواضح، من منظور اجتماعي، أن عمل المرأة في حد ذاته لا يشكل إشكالية جوهرية على المستوى المبدئي، خاصة إذا ما تم في سياقات لا تتعارض مع الثوابت الدينية أو الأعراف المجتمعية. فبالنظر إلى الأصل في الأحكام الشرعية، نجد أن مبدأ البراءة والإباحة هو السائد ما لم يرد دليل على المنع؛ إذ تخلو نصوص الكتاب والسنة من أي تحريم صريح أو قاطع يمنع المرأة من ممارسة حقها في الكسب أو العمل بمقتضى كونه نشاطا اقتصاديا أو مهنيا. ومن ثم، يمكن النظر

1. جون سكوت، جوردون مارشال، موسوعة علم الاجتماع، المجلد الثاني، المركز القومي للترجمة، القاهرة،2007، ص 464-465.
2. محمد عاطف غيث. قاموس علم الاجتماع. دار المعرفة الجامعية، 2000. ص 265.
3. جون سكوت، مرجع سبق ذكره، ص 464-465.
4. نفس المرجع، ص470.

إلى عمل المرأة، من الناحية المبدئية، كحق طبيعي وممارسة مشروعة في إطار البنى الاجتماعية والاقتصادية، شريطة ألا يصاحبه ما يخل بالضوابط الأخلاقية أو النسق القيمي السائد في المجتمع.

ومن التصورات النمطية حول عمل المرأة هو اعتبار أن خروج المرأة للعمل مخالف للفطرة التي فطر الله الناس عليها. ويرد الباحثون على ذلك بالتمييز بين الأصل والاستثناء، وبين ما هو واجب وما هو جائز. إلا أنه في الوقت الذي كان بعض الفقهاء السابقين يميلون إلى منع خروج المرأة للعمل استنادا إلى النص القرآني مثل ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾[1]، بين عدد من العلماء المعاصرين عكس ذلك، حيث يقرر الشيخ ابن باز[2] أن الإسلام لا يمنع عمل المرأة ولا تجارتها، فالله جل وعلا شرع للعباد العمل وأمرهم به فقال: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾[3]، وهذا يعم الجميع الرجال والنساء، وأضاف ابن باز شارحا أن خطاب التكليف في القرآن يشمل الجنسين معا، فقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ﴾[4] يعم الرجال والنساء جميعا[5].

وهذا التحول في التصور يمثل انتقالا من النظرة النمطية التي تمنع عمل المرأة مطلقا، إلى نظرة مقاصدية تراعي المصالح والمفاسد. ويؤكد الباحثون المعاصرون أن المقاصد هي الغايات العليا للشريعة مثل حفظ النفس، والعقل، والدين، والنسل، والمال. وعند إسقاط هذه المقاصد على قضايا المرأة، نجد أن كثيرا من الأحكام بحاجة إلى إعادة قراءة تراعي الزمن والمكان والتطور المجتمعي.

يعني مما تقدم أن حق العمل الذي هو أحد الحقوق العامة للإنسان في المجالين الاجتماعي والاقتصادي، لا يميز فيه -من حيث ذاته- بين الرجل والمرأة في شريعة الإسلام، وإنما ينشأ هذا التمييز من التصورات النمطية الشائعة ومواقف التحفظ العامة أو الخاصة في موضوع عمل المراة خارج البيت. حيث تشكل التصورات النمطية حول عمل المرأة المأجور خارج المنزل أحد أبرز التجليات المعاصرة للهيمنة الذكورية، تستمر هذه التصورات في فرض حدود رمزية ومادية على مشاركة النساء في سوق العمل. وعلى الرغم من التحولات الاقتصادية والاجتماعية الكبرى التي

1. سورة الأحزاب، الآية 33.
2. مجموع فتاوى ومقالات الشيخ ابن باز: 4/ 293.
3. سورة التوبة، الآية 105.
4. سورة النساء الآية 29.
5. مجموع فتاوى ومقالات الشيخ ابن باز: 4/ 293.

شهدتها المجتمعات المعاصرة، لا تزال الأفكار المسبقة حول العمل النسائي المناسب والمكان الطبيعي للمرأة تؤثر في مساراتها المهنية وخياراتها الحياتية.

لهذا، يجب أن نأخذ مسألة التصورات النمطية والأحكام المسبقة على محمل الجد، والتي غالبا ما يتم تجاهلها باعتبارها غير ذات أهمية، وكأنها لا تعني شيئا، بينما نحن نفكر من خلالها، شئنا أم أبينا. كما تقول فرانسواز إيريتييه (Héritier Françoise) تشكل الفئات المعرفية للمذكر والمؤنث حاجزا حقيقيا للفكر البشري بمعنى أنها تعمل كمرشحات توجه إدراكنا للعالم الاجتماعي[1]. في هذا السياق، يقدم بيير بورديو(Bourdieu Pierre) في كتابه الهيمنة الذكورية (La Domination masculine) إطارا نظريا لفهم استمرارية التصورات النمطية حول أدوار الجنسين، مفسرا كيف تتحول الفروق البيولوجية إلى أساس لبناء اجتماعي هرمي. يرى بورديو أن الهيمنة الذكورية هي نتاج عمل دائم من إعادة الإنتاج يساهم فيه وكلاء مختلفون: الرجال (بأسلحة مثل العنف الجسدي والعنف الرمزي)، والنساء الضحايا غير الواعيات لعاداتهن (habitus)، والمؤسسات كالأسرة والدين والمجتمع[2]. ومعنى ذلك أن هناك مؤسسات وإن كانت لا تعلن عن نفسها بشكل صريح هي التي تعمل على تكريس هذا التّمييز والهيمنة ويضرب بورديو مثالا بالعائلة والمدرسة والكنيسة والدولة والصحافة[3]. فالأسرة ترجح كفة الأطفال الذكور عند تقسيم العمل بين الجنسين، والكنيسة تؤكد على قوامتهم وعلى القيم البطريركية ومملكة الحق الإلهي القائمة على سلطة الأب[4]، أما الدولة فتمركز كل سياساتها حولهم لأنها تصادق على سياسة الكنيسة وتؤيد نظرتها باعتبار التفوق المطلق للرّجال[5]. ومنه فإن المجتمع تتضافر كل مكوّناته على إنتاج وضمان استمرار الهيمنة الذكورية، وهو ما يتجلى بخاصة في سياسات الدولة الحديثة والمعاصرة تجاه المرأة، حيث تعيد إنتاج التقسيم المتقادم بين المذكر والمؤنث في بنيتها ذاتها... فيكون للنساء فيها جزء مرتبط بالدولة الاجتماعية بوصفهن متلقيات مميزات لرعايتها وخدماتها[6].

استنادا إلى ما سبق نستنتج ومن منظور بورديو، أن المجتمع هو الذي ينتج كلا من الرجل والمرأة، ويحدد لكل منهما إطارا رمزيا وممارسا لا يمكن الخروج عنه، وذلك عبر الامتثال لأنماط

1. Héritier F. Masculin, féminin. La pensée den la différence. Paris: Odile Jacob, 1996.
2. Pierre Bourdieu, La Domination masculine, Paris, Éditions du Seuil, 1998.
3. بورديو، بيير، الهيمنة الذكورية. ترجمة: سليمان فعفراني، مراجعة: ماهر تريمش. بيروت: المنظمة العربية للترجمة، 2009، ط.1، ص 12.
4. نفس المرجع، ص130.
5. نفس المرجع،، ص132.
6. نفس المرجع،، ص133.

محددة من الأفعال والسلوكيات. فمن جهة، يفرض على الرجل أن يتحلى بالفحولة (virilité) والروح التنافسية والصراع من أجل انتزاع الاعتراف الاجتماعي. ومن جهة أخرى، تحمل المرأة على الخضوع والطاعة، مما يجعلها، ولو ضمنيا، شريكا في الحفاظ على هذه البنية الهيمنية وإعادة إنتاجها. تستدمج المرأة هذه التراتبية بطريقة غير واعية عبر آليات التنشئة الاجتماعية، التي تعمل على ترويض جسدها وضبط انفعالاتها، حيث يعمل النظام الاجتماعي على غرس استعدادات محددة لديها وتثبيتها. ويتجلى هذا بوضوح في التقسيم الجنسي للعمل: فالرجل يوكل إليه مهام الذبح، والحرث، والحصاد، بينما تسند إلى المرأة مهام رعاية الأطفال والاعتناء بالحيوانات، ونقل الأسمدة، والتقاط الزيتون عند قطافه عند قدمي الرجل بينما هو يضرب الشجرة بعصاه لإسقاط الثمار. ويحمل هذا المشهد دلالة رمزية عميقة تعكس وتعزز الهيمنة الذكورية.[1]

يعتمد بورديو في تحليله على دراسة المجتمع القبائلي في الجزائر، الذي يعتبره نموذجا للبنية الاجتماعية التي ترسخ الهيمنة الذكورية عبر آليات رمزية. في هذا المجتمع، يعمل النظام الاجتماعي برمته كآلة رمزية هائلة تميل إلى المصادقة على الهيمنة الذكورية التي تقوم عليها . يتجلى ذلك في التقسيم الجنسي للعمل (الأعمال الفلاحية والحرب للرجال، وجمع الزيتون والحطب للنساء)، وتنظيم الفضاء (العام للرجال، الخاص للنساء المحبوسات في المنزل). تترجم القيمة الأقل الممنوحة للنساء إذن إلى تهميشهن في الفضاء العام كذوات[2] حيث لا تزال الزراعة مهنة تعتمد على الأزواج ويديرها الرجال، حتى عندما تحصل النساء على مساواة في الوضع القانوني (...). فالنساء اللواتي يستقررن كزوجات نادرا ما يعترضن على التسلسل الهرمي الجندري، وكأنهن يمنعن أنفسهن من تجاوز هذا العالم المبني على الذكورة، ربما لأنهن يدركن أن لذلك كلفة اجتماعية وهوياتية باهظة لا يشعرن بأنهن مستعدات لتحملها[3]. حسب هذا التحليل، نستحضر المفهوم الأساسي لتفسير الهيمنة وهو «العنف الرمزي (Symbolic violence)، أي العنف الذي يمارس عبر قنوات رمزية دون إكراه مادي واضح، ويقبل به المسيطر عليهم باعتباره أمرا طبيعيا. فالنساء، وفق بورديو، ينخرطن في إنتاج هيمنتهن من خلال تبنيهن لفئات تفكير المهيمن، مما يؤدي إلى تطبيع البناء الاجتماعي التعسفي للفروق بين الجنسين. يمكن ملاحظة ذلك في هذه العادات الأنثوية التي لا تزال

1. نفس المرجع، ص28.

2. Dulong, Delphine. La résistible ascension des femmes: revue de littérature sur la féminisation des métiers à dominance masculine. Bulletin de l'Académie Nationale de Médecine, 2021, vol. 205, n° 8, p. 970-975. DOI: 10.1016/j.banm.2021.06.014.

3. Rieu, A., «Agriculture: un métier masculin investi par les femmes», Guichard-Claudic, Y., Kergoat, D. et Vilbrod, A. (dir.), L'inversion du genre. Quand les métiers masculins se conjuguent au féminin... et réciproquement, Rennes, PUR, 2008, p. 97.

حاضرة في مجتمعاتنا حيث تظل طرق حمل الجسد-الجلوس مع ضم الساقين، المشي بخطوات صغيرة...-تشهد على الضبط الأخلاقي الذي يليق بالنساء .

تنتقل البنية الثنائية التي وصفها بورديو (ذكر/أنثى، عام/خاص، فعال/منفعل) إلى سوق العمل المعاصر، حيث تصنف المهن والمجالات المهنية وفق منطق ثنائي يحيل إلى الجنسين. فالمهن المرتبطة بالرعاية والتعليم والخدمات توصف بأنها أنثوية بطبيعتها، بينما تظل المهن القيادية والتقنية والعلمية محتكرة رمزيا للرجال. هذا التقسيم ليس مجرد وصف محايد، بل هو تراتبية قيمية تعيد إنتاج الهيمنة الذكورية. في هذا السياق، توضح دراسة وينهاو جيانغ (Wenhao Jiang)، كيف تتشكل الصور النمطية المرتبطة بالمهن عبر اللغة والخطاب العام. اعتمدت الدراسة على تحليل 127 مليار كلمة من النصوص الأمريكية المنشورة بين 1900 و2019، وكشفت أن التأنيث الثقافي يحدث بشكل أساسي في المهن ذات الدخل المنخفض والمتوسط، بينما تقاوم المهن ذات الدخل المرتفع (كالقيادات التنفيذية وأعضاء مجالس الإدارة) التحولات الثقافية المقابلة، وتبقى مصنفة رمزيا كمهن ذكورية[1]. وبينت الدراسة أن المكانة الرمزية للمهن تنخفض عندما تزداد الصلة الدلالية بين هذه المهن والأنوثة، حيث تفقد المهنة هيبتها وقوتها الرمزية، مع بقاء مكانتها الأخلاقية ثابتة. يفسر هذا جزئيا الفجوة في الأجور، حيث تفسر الآليات الثقافية ما بين 22,4% و25,9% من العلاقة السلبية بين تصنيف المهنة كمهنة أنثوية والأجور الفعلي. وهذا يؤكد مقولة بورديو حول استمرارية «الرؤية الأندروسنترية» (vision androcentrique) التي تحكم العلاقات بين الجنسين[2].

وعلى هذا الأساس كان لزاما على الحركات النسوية أن تنتبه لكل هذه البنيات وتكف عن التركيز على مؤسسة الأسرة باعتبارها البنية الاجتماعية الوحيدة التي تنتج وتعيد إنتاج هذه الهيمنة. هذا الوضع لن يستقيم إلا بفعل مقاومة جماعي يتخذ من الإصلاحات الحقوقية هدفا له، ويقوم على نبذ التمييزات الجنسية وبهز المؤسسات التي تدعمه وتؤيده وهو ما يدعو إليه بورديو ذاته، عبر الحركة النسائية التي جعلت من هذه الظاهرة شيئا يجب التبرؤ منه، ولعل من أبرز العوامل التي أحدث التغير في وضعية النساء هو بلوغهن مرحلة التعليم الثانوي والعالي، وما أعقبه من تمثيل النساء في المهن الفكرية أو في الإدارة والصحافة والتلفزيون والسينما والعلاقات العامة... رغم بقائهن مستبعدات من مراكز النفوذ وخاصة في الاقتصاد والمالية والسياسة[3] إذا انتقلنا-حسب

1. Jiang, W. "The Cultural Devaluation of Feminized Work: The Evolution of U.S. Occupational Prestige and Gender Typing in Linguistic Representations, 1900 to 2019." American Sociological Review, vol. 90, n°. 5, Oct. 2025, pp. 755-87. Scopus, doi: 10.1177/00031224251362351.

2. Ibid.

3. بورديو، بيير، الهيمنة الذكورية. ترجمة: سليمان فعفراني، مراجعة: ماهر تريمش. بيروت: المنظمة العربية للترجمة،

ما سبق-إلى سياق المرأة القروية، فإن ولوجها إلى سوق العمل المأجور يطرح إشكالية أكثر تعقيدا، إذ يتداخل فيها المادي بالرمزي بشكل خاص. فخروجها للعمل لا يمثل مجرد مصدر دخل، بل هو اختراق صريح للمساحات التي غالبا ما كانت محصورة في الفضاء الخاص والدائرة الأسرية الضيقة. السؤال الجوهري هنا هو: هل يستطيع العمل المأجور، بمنطقه المادي والفرداني، أن يزعزع التصورات النمطية الراسخة التي تكتسب شرعيتها من الخطابات الدينية التقليدية؟

ثانيا : الخروج إلى العمل المأجور وسؤال تحول التصورات النمطية المبنية على المواقف الدينية : معطيات ميدانية

بعد استعراض الإطار النظري والمفاهيمي الذي يحكم علاقة عمل المرأة القروية بالخطاب الديني والهيمنة الذكورية، ينتقل بنا البحث إلى المعاينة التجريبية لهذه الإشكالية عبر الغوص في المعطيات الميدانية التي تم جمعها من منطقة السهول. يشكل هذا الفصل الركيزة الأساسية للدراسة، حيث يعمل على ترجمة الفرضيات النظرية إلى مؤشرات قابلة للقياس، ومن ثَم اختبارها في الواقع الاجتماعي للنساء العاملات بالوسط القروي.

سنحاول في هذا الفصل الإجابة عن سؤال محوري: كيف تتجلى العلاقة بين الخروج إلى العمل المأجور وتحول التصورات الدينية المعارضة لهذا الخروج؟ وذلك من خلال رصد الخصائص السوسيوديموغرافية لعينة الدراسة، وتحليل تأثير متغيرات حاسمة مثل الأمومة واستقرار العمل على درجة تغير هذه التصورات. إذ تشكل هذه المتغيرات، كما سنرى، مداخل أساسية لفهم الجدلية القائمة بين البنى الاقتصادية والرموز الثقافية، وبين إمكانية التمكين النسائي وإعادة إنتاج الهيمنة بصيغ جديدة.

إن المعطيات التي سنعرضها لا تكتفي برصد الظواهر، بل تسعى إلى فهم الآليات الخفية التي تجعل من المرأة القروية إما فاعلة في تغيير الخطاب الديني المسيطر، أو خاضعة لإعادة إنتاجه تحت ضغط الحاجة الاقتصادية. كما تكشف عن المفارقة التي تعيشها هذه النساء: بين كونهن ركيزة مادية للأسرة، وكونهن محاصرات بتمثلات ثقافية تعيد إنتاج هشاشتهن الرمزية.

الخصائص السوسيوديموغرافية للمشاركات في البحث

تتوزع النساء القرويات بمنطقة السهول وفق بنية سوسيوديموغرافية تعكس خصوصية الوسط القروي وعلاقات الإنتاج فيه. من حيث التركيبة العمرية، تهيمن الفئات النشطة اقتصاديا

2009، ط.1، ص 136.

(28-48 سنة) بما يناهز نصف العينة (49,5%)، مما يؤشر على أن العمل المأجور أصبح يشكل محطة أساسية في مسار حياة المرأة القروية خلال مرحلة العطاء والإنتاج.

على مستوى الوضعية العائلية، فتستأثر المتزوجات بالنصيب الأكبر من العينة (60%)، وهو ما يوحي بأن المسؤولية الأسرية تشكل عاملا ضاغطا لولوج سوق الشغل، خصوصا في ظل احتياجات الأسرة المتزايدة. وتأتي العازبات في المرتبة الثانية (24%)، مما قد يعكس تحولا في أنماط الانتظار الاجتماعي لدور المرأة. أما على المستوى التعليمي، يظهر التفكك البنيوي للمنظومة التعليمية بالوسط القروي جليا من خلال نسبة الأمية المرتفعة بين النساء (55,5%) وأسرهن الأصلية (75% للآباء و86% للأمهات). وتتشكل هنا حلقة إعادة إنتاج للهشاشة الثقافية، حيث تنتقل الأمية عبر الأجيال لتكرس التهميش والإقصاء، وتحول المرأة إلى طاقة معطلة خارج ديناميات التنمية، محصورة في أدوار تقليدية (البيت والحقل) لا ترقى إلى الفعل الاجتماعي والاقتصادي الواعي.

أما في سوق الشغل، فتعيش المرأة القروية وضعا مهنيا يتسم بالهشاشة واللاتوازن، حيث تغلب عليها الأعمال غير المستقرة (61%) في القطاع الخاص (92,5%)، خارج إطار العقود القانونية (79,5%). وهذا يعكس إدماجا ناقصا في نظام الشغل المنظم، ويضعها في دائرة الاقتصاد غير المهيكل حيث تغيب الحقوق والضمانات. وتتركز نشاطاتها في المهن التقليدية ذات القيمة المضافة المنخفضة (الخدمات 42%، التجارة 28%)، نتيجة محدودية رأس المال الثقافي والمهني المتاح لها. ويتمضهر الدافع الاقتصادي هو المهيمن على قرار الخروج للعمل، حيث تتحول المرأة إلى سند مادي أساسي لأسرتها (90% يساهمن في إعالة الأسرة)، في استجابة لحاجة ملحة تغذيها هشاشة الأوضاع المعيشية (73% يتقاضين أقل من 1500 درهم شهريا). ورغم ذلك، تظل مثقلة بالأعمال المنزلية (91,5%)، مما يضاعف عبء المسؤولية ويعمق الازدواجية في أدوارها الإنتاجية والتناسلية داخل البنية الأسرية. ويبقى دخلها متدنيا، بما يعكس تمركزها في مواقع هامشية بسلم التقسيم الاجتماعي والجندري للعمل.

وبعد عرض الخصائص العامة لعينة النساء القرويات من حيث التوزيع العمري، الوضعية الأسرية، المستوى التعليمي، والوضع المهني، بهدف رسم صورة واضحة للسياق الاجتماعي والاقتصادي الذي ينطلقن منه. سننتقل في القسم الثاني من تحليلنا إلى فحص العلاقة بين متغيري الأمومة واستقرار العمل من جهة، ودرجة تغير المواقف الدينية المعارضة لعمل المرأة من جهة أخرى، بالاستناد إلى الجداول الإحصائية واختبارات الدلالة (كاي تربيع)، مع محاولة تفسير النتائج في ضوء المفاهيم السوسيولوجية، لاسيما مفهوم «رأس المال الرمزي» عند بورديو.

الجدول رقم 01 يبين العلاقة بين متغير الأمومة بدرجة تغير التصورات النمطية للمو اقف الدينية المعارضة لخروج المرأة السهلية للعمل المأجور

			درجة تغير التصورات النمطية للمو اقف الدينية المعارضة لخروج المرأة السهلية للعمل المأجور				المجموع
			ضعيف جدا	ضعيف	متوسط	قوي	قوي جدا	
هل لديك أبناء؟	نعم	التكرار	26	35	23	20	30	134
		التكرار النظري	23,5	31,5	25,5	26,8	26,8	134,0
		النسبة المئوية	19,4%	26,1%	17,2%	14,9%	22,4%	100,0%
	لا	التكرار	9	12	15	20	10	66
		التكرار النظري	11,6	15,5	12,5	13,2	13,2	66,0
		النسبة المئوية	13,6%	18,2%	22,7%	30,3%	15,2%	100,0%
المجموع		التكرار	35	47	38	40	40	200
		التكرار النظري	35,0	47,0	38,0	40,0	40,0	200,0
		النسبة المئوية	17,5%	23,5%	19,0%	20,0%	20,0%	100,0%
قيمة كاي تربيع X2 = 9.13				دلالة كاي تربيع Sig. X2 = 0,58				

المصدر: معطيات البحث الميداني

انطلاقا من المعطيات الإحصائية الماثلة أمامنا، يتبين أن قيمة كاي تربيع بلغت (9,13) وهي قيمة دالة إحصائيا عند مستوى دلالة (0,058)، وبالتالي يتضح أن هناك علاقة رابطة بين متغير الأمومة ودرجة تغير التصورات النمطية للمواقف الدينية المعارضة لخروج المرأة السهلية للعمل المأجور. بحيث نجد أن 26,1% من مجموع الأمهات يعبرن بشكل ضعيف عن تغير التصورات النمطية للمواقف الدينية المعارضة لخروج المرأة السهلية للعمل المأجور. في المقابل عبرت 3,30% من غير الأمهات أن هناك تغير قوي للتصورات النمطية للمواقف الدينية المعارضة لخروج المرأة السهلية للعمل المأجور

بحيث يتبين أن الأمهات ينظرن إلى أن العمل المأجور بكونه لا يثير إشكالات متعلقة بالمواقف الدينية المعارضة لخروج المرأة السهلية للعمل المأجور. في حين تظهر النتائج إلى أن النساء اللواتي ليس لديهن أبناء ينظرن إلى أن العمل المأجور يطرح إشكالات تتعلق بزعزعة المواقف الدينية المعارضة بتواجدها بالفضاء العام.

انطلاقا مما سبق، يظهر أن المواقف الدينية المعارضة لخروج المرأة السهلية من المنزل إلى العمل المأجور يتم التعامل معها في السياق الثقافي السهلي حسب الوضع الاعتباري للمرأة. لقد أظهرت النتائج التي عرضناها أعلاه أن المرأة السهلية التي لديها أبناء غالبا ما تكون في منأى عن المواقف النمطية التي تحرك الاعتبارات الدينية ضد خروجها من المنزل إلى العمل المأجور. وبالمقابل، تجد النساء اللواتي ليس لديهن أبناء، سواء كن متزوجات أم لا، أنفسهن في مواجهة المواقف الدينية المعارضة لخروج المرأة من المنزل إلى العمل المأجور.

الجدول رقم 02 يبين العلاقة بين متغيراستقرار العمل بدرجة تغير التصورات النمطية للمو اقف الدينية المعارضة لخروج المرأة السهلية للعمل المأجور

			درجة تغير التصورات النمطية للمو اقف الدينية المعارضة لخروج المرأة السهلية للعمل المأجور					المجموع
			ضعيف جدا	ضعيف	متوسط	قوي	قوي جدا	
هل لديك أبناء؟	نعم	التكرار	10	26	14	17	11	78
		التكرار النظري	13,7	18,3	14,8	15,6	15,6	78,0
		النسبة المئوية	12,8%	33,3%	17,9%	21,8%	14,1%	**100,0%**
	لا	التكرار	25	21	24	23	29	122
		التكرار النظري	21,4	28,7	23,2	24,4	24,4	122,0
		النسبة المئوية	20,5%	17,2%	19,7%	18,9%	23,8%	**100,0%**
المجموع		التكرار	35	47	38	40	40	200
		التكرار النظري	35.0	47,0	38,0	40,0	40,0	200,0
		النسبة المئوية	17.5%	23,5%	19,0%	20,0%	20,0%	100,0%
قيمة كاي تربيع X2 = 9.36					**دلالة كاي تربيع Sig. X2 = 0,53**			

المصدر: معطيات البحث الميداني

نحاول من خلال الجدول أعلاه، أن نجيب عن سؤال علاقة استقرار العمل ودرجة تغير التصورات النمطية للمواقف الدينية المعارضة لخروج المرأة السهلية للعمل المأجور. فتشير المعطيات الإحصائية، أن قيمة كاي تربيع بلغت (9,36) وهي قيمة دالة إحصائيا عند مستوى دلالة (0,053)، وبالتالي يتضح أن هناك علاقة تربط بين متغير استقرار العمل ودرجة تغير التصورات النمطية للمواقف الدينية المعارضة لخروج المرأة السهلية للعمل المأجور. بحيث نجد أن 33,3%

من فئة النساء اللواتي لهن عمل قار يذهبن إلى أن العمل المأجور لا يثير الحساسيات الدينية والثقافية إلا بشكل ضعيف، وقد يكون ذلك راجع إلى انفتاحهن على محيطهن المهني وكذا مستواهن الثقافي والمعرفي. في حين نجد أن 23,8% ممن ليس لديهن عمل قار ينضرن إلى كون العمل المأجور لا يثير الحساسيات الدينية والثقافية بشكل قوي جدا.

إن النساء اللواتي لديهن عمل قار لا يتعرضن للضغوطات الاجتماعية والدينية المانعة لخروج المرأة إلى العمل المأجور بينما النساء اللواتي ليس لديهن عمل قار يقعن تحت هذه الضغوطات. سوسيولوجيا، يمكن تفسير ذلك بأن الاستقرار الوظيفي يمنح المرأة «رأس مال رمزي» إضافي. فهي لم تعد دخيلة على الفضاء العام، بل أصبحت عنصرا فاعلا ومنتجا فيه. هذا الوضع يعزز ثقتها بنفسها ويقلل من تأثير الضغوط المجتمعية، بما فيها تلك المستندة إلى خطاب ديني. على النقيض، النساء ذوات العمل غير المستقر (23,8%) يرين أن العمل يثير هذه الحساسيات «بشكل قوي جداً». هذا يؤكد أن «انعدام الأمن الوظيفي» يبقي المرأة في موقع ضعف، مما يجعلها أكثر عرضة للضغوط الاجتماعية والدينية، وأقل قدرة على مواجهة الخطاب المعارض.

الجدول رقم 03 يبين علاقة متغيرودرجة علاقة المعيل الأخر-غير المبحوثة- للأسرة وتغير درجة التصورات النمطية للمو اقف الدينية المعارضة لخروج المرأة السهلية للعمل المأجور

			درجة تغير المو اقف الدينية المعارضة لخروج المرأة السهلية للعمل المأجور				المجموع
			ضعيف جدا	ضعيف	متوسط	قوي	قوي جدا	
حاليا من يعيل الأسرة من غيرك؟	الزوج	التكرار	18	32	11	15	20	96
		التكرار النظري	16,8	22,6	18,2	19,2	19,2	96,0
		النسبة المئوية	18,8%	33,3%	11,5%	15,6%	20,8%	100,0%
	الأب	التكرار	6	3	10	10	5	34
		التكرار النظري	6,0	8,0	6,5	6,8	6,8	34,0
		النسبة المئوية	17,6%	8,8%	29,4%	29,4%	14,7%	100,0%
	الأم	التكرار	0	0	3	6	7	16
		التكرار النظري	2,8	3,8	3,0	3,2	3,2	16,0
		النسبة المئوية	0,0%	0,0%	18,8%	37,5%	43,8%	100,0%
	الأخ	التكرار	0	3	0	5	0	8
		التكرار النظري	1,4	1,9	1,5	1,6	1,6	8,0
		النسبة المئوية	0,0%	37,5%	0,0%	62,5%	0,0%	100,0%

حاليا من يعيل الأسرة من غيرك؟	الأخت	التكرار	1	2	0	0	3	6
		التكرار النظري	1,1	1,4	1,2	1,1	1,2	6,0
		النسبة المئوية	16,7%	33,3%	0,0%	0,0%	50,0%	100,0%
	الأب والأم معا	التكرار	1	1	1	4	0	7
		التكرار النظري	1,2	1,6	1,4	1,3	1,4	7,0
		النسبة المئوية	14,3%	14,3%	14,3%	57,1%	0,0%	100,0%
	لا أحد	التكرار	6	3	2	5	2	18
		التكرار النظري	3,2	4,2	3,6	3,4	3,6	18,0
		النسبة المئوية	33,3%	16,7%	11,1%	27,8%	11,1%	100,0%
	الابن	التكرار	3	2	0	3	3	11
		التكرار النظري	1,9	2,6	2,2	2,1	2,2	11,0
		النسبة المئوية	27,3%	18,2%	0,0%	27,3%	27,3%	100,0%
	الابنة	التكرار	0	0	0	1	0	1
		التكرار النظري	2,	2,	2,	2,	2,	1,0
		النسبة المئوية	0,0%	0,0%	0,0%	100,0%	0,0%	100,0%
	الجيران	التكرار	0	0	0	1	0	1
		التكرار النظري	2,	2,	2,	2,	2,	1,0
		النسبة المئوية	0,0%	0,0%	0,0%	100,0%	0,0%	100,0%
	الإخوة	التكرار	0	1	1	0	0	2
		التكرار النظري	4,	5,	4,	4,	4,	2,0
		النسبة المئوية	0,0%	50,0%	50,0%	0,0%	0,0%	100,0%
المجموع		التكرار	35	47	40	38	40	200
		التكرار النظري	47,0	38,0	40,0	40,0	200,0	
		النسبة المئوية	23,5%	19,0%	20,0%	20,0%	100,0%	
قيمة كاي تربيع X2 = 73,15				دلالة كاي تربيع Sig. X2 = 0,01				

المصدر: معطيات البحث الميداني

اعتمادا على المعطيات الإحصائية للجدول أعلاه، يتبين جليا الدور الذي يلعبه متغير المعيل الأخر للبيت من غير المبحوثة في درجة تغير التصورات النمطية للمواقف الدينية المعارضة لخروج المرأة السهلية للعمل المأجور. حيث بلغت قيمة كاي تربيع (73,15) وهي دالة إحصائيا عند مستوى دلالة (0,001). وهذا ما يزكي الطرح القائل أن هناك علاقة قوية تربط بين المتغيرين. تشير النتائج إلى أن النساء اللواتي يتشاركن مع أزواجهن في إعالة الأسرة (33,3%) يقررن أن العمل المأجور «لا

يحدث تغيرات كبيرة» على مستوى المواقف الدينية المعارضة. وجود الزوج كمعيل يبدو أنه يمنح المرأة نوعا من «الشرعية الاجتماعية» لخروجها. فالمجتمع ينظر إليها كشريك في المسؤولية وليس كمستقلة تماما، مما يخفف من حدة الانتقاد الديني أو الثقافي.

بالمقابل، نجد أن النساء اللواتي تعيل أسرهن الأم فقط (43,8%) يرين أن تغير المواقف الدينية «قوي جدا». هنا، تغيب «السلطة الذكورية» (الأب أو الزوج) كغطاء، مما يجعل خروج المرأة للعمل تحديا صريحا للنمط الأبوي السائد. هذا الخروج يُقرأ كقطيعة مع النموذج التقليدي، وبالتالي تكون المواقف الدينية المعارضة أكثر حدة، ولكن في نفس الوقت، التغير فيها يكون أكثر جذرية بمجرد تحققه.

الجدول رقم 04 يبين علاقة إعالة الأسرة ماديا بدرجة تغير التصورات النمطية للمو اقف الدينية المعارضة لخروج المرأة السهلية للعمل المأجور

			درجة تغير المو اقف الدينية المعارضة لخروج المرأة السهلية للعمل المأجور				المجموع
			ضعيف جدا	ضعيف	متوسط	قوي	قوي جدا
هل تساهمين في إعانة أسرتك ماديا؟	نعم	التكرار	30	46	30	36	38	180
		التكرار النظري	31,5	42,3	34,2	36,0	36,0	180,0
		النسبة المئوية	16,7%	25,6%	16,7%	20,0%	21,1%	100,0%
	لا	التكرار	5	1	8	4	2	20
		التكرار النظري	3,5	4,7	3,8	4,0	4,0	20,0
		النسبة المئوية	25,0%	5,0%	40,0%	20,0%	10,0%	100,0%
المجموع		التكرار	35	47	38	40	40	200
التكرار النظري		35,0	47,0	38,0	40,0	40,0	200,0	
النسبة المئوية		17,5%	23,5%	19,0%	20,0%	20,0%	100,0%	
قيمة كاي تربيع X2=10.22				دلالة كاي تربيع Sig. X2=,037			

المصدر: معطيات البحث الميداني

تظهر المعطيات الماثلة في الجدول أعلاه أن قيمة كاي تربيع بلغت (10,22) وهي قيمة دالة عند مستوى دلالة (0,037). وبالتالي يتضح أن هناك علاقة تربط بين متغير الإعانة المادية للأسرة ودرجة تغير التصورات النمطية للمواقف الدينية المعارضة لخروج المرأة السهلية من المنزل إلى العمل المأجور. بحيث نجد أن 25,6% من فئة النساء اللواتي يسهن في إعانة أسرهن ماديا يذهبن

إلى أن العمل المأجور لا يثير الحساسيات الدينية والثقافية إلا بشكل ضعيف. في حين نجد أن 40% ممن لا يساهمن في إعانة أسرهن ماديا ينضرن إلى كون العمل المأجور يثير الحساسيات الدينية والثقافية بشكل متوسط.

نظرا إلى أن النساء السهليات اللواتي يساعدن أسرهن ماديا لا يتعرضن للضغوطات الاجتماعية والدينية المعارضة لخروجها من المنزل إلى العمل المأجور، بينما النساء السهليات اللواتي لا يساعدن أسرهن ماديا فيتعرضن للضغوطات الاجتماعية والدينية. فنخلص إلى أن النساء اللواتي لا تساعدن أسرهن ماديا دائما ما تكن عرضة للخضوع بطريقة مباشرة أو غير مباشرة لما تفرزه التصورات النمطية للمواقف الدينية المعارضة لخروج المرأة القروية للعمل المأجور. وهذا ما يفسر أن العمل المأجور وتحقيق الاستقلال المادي يزعزع تلك التصورات النمطية القائمة على الخطاب الديني الذي يجعل دور المرأة منحصر في الإنجاب واستمرارية النوع البشري، تربية الأبناء والخضوع لسلطة الزوج.

الجدول رقم 05 يبين العلاقة بين متغير المساعدة في الأنشطة الفلاحية ودرجة تغير التصورات النمطية للمو اقف الدينية المعارضة لخروج المرأة السهلية للعمل المأجور

			درجة تغير المو اقف الدينية المعارضة لخروج المرأة السهلية للعمل المأجور				المجموع
			ضعيف جدا	ضعيف	متوسط	قوي	قوي جدا	
هل تساعدين أسرتك في الأنشطة الفلاحية خارج البيت (الرعي- السقي- الاشتغال في الحقل)	نعم	التكرار	12	20	11	20	27	90
		التكرار النظري	15,8	21,2	17,1	18,0	18,0	90,0
		النسبة المئوية	13,3%	22,2%	12,2%	22,2%	30,0%	100,0%
	لا	التكرار	23	27	27	20	13	110
		التكرار النظري	19,3	25,9	20,9	22,0	22,0	110,0
		النسبة المئوية	20,9%	24,5%	24,5%	18,2%	11,8%	100,0%
المجموع		التكرار	35	47	38	40	40	200
التكرار النظري		35,0	47,0	38,0	40,0	40,0	200,0	
النسبة المئوية		17,5%	23,5%	19,0%	20,0%	20,0%	100,0%	
قيمة كاي تربيع X2=14.27			دلالة كاي تربيع Sig. X2= ,006					

المصدر: معطيات البحث الميداني

بناءا على معطيات الجدول أعلاه، نستنتج وجود علاقة بين مساعدة المرأة السهلية للأسرة في الأنشطة الفلاحية (الرعي، السقي، الاشتغال في الحقل...) ودرجة تغير التصورات النمطية للمواقف الدينية المعارضة لخروج المرأة السهلية للعمل المأجور. حيث بلغت قيمة كاي تربيع (14,27) وهي دالة إحصائيا عند مستوى (0,006) فالنساء السهليات اللواتي تساعدن أسرهن في الأنشطة الفلاحية أكثر نزوحا نحو التعبير عن تغير التصورات النمطية للمواقف الدينية المعارضة لخروج المرأة السهلية للعمل المأجور إذ نجد 30% يقرن بتغير قوي جدا، و22,2% لديهم تعبير قوي. هذا يعني أن العمل في الحقل، الذي يعد امتدادا للمجال القروي، أصبح بدوره مجالا لتحدي المعايير. ليس المطلوب هو مجرد الخروج من المنزل، بل نوعية الخروج وطبيعته. مشاركة المرأة في الأعمال الإنتاجية (حتى لو كانت تقليدية) تعيد تعريف دورها، وتحوله من «دور بيولوجي» (إنجاب وتربية) إلى «دور اقتصادي واجتماعي»، مما يزعزع أسس الخطاب الديني الذي يحصر وجودها في نطاق المنزل. في حين أن النساء اللواتي لا يساعدن في أعمال الحقل أقل إقرارا أن التصورات النمطية للمواقف الدينية المعارضة لخروج المرأة السهلية للعمل المأجور. بينت نتائج الجدول أعلاه، أن خروج المرأة السهلية للعمل المأجور ومشاركتها في الأعمال الفلاحية (السقي، الرعي، الاشتغال في الحقل...) أصبح يزعزع المواقف الدينية المعارضة لوجودها في الفضاء العام وولوجها إلى العمل المأجور، بمعنى أنه بمجرد خروج المرأة للعمل المأجور في الفضاء العام يبرز الصراع بين القيم الجديدة التي فرضها العمل المأجور والقيم التقليدية المعارضة لخروج المرأة القروية من المنزل إلى العمل المأجور. يخلق خروج المرأة للعمل المأجور أرضية خصبة لمراجعة التصورات النمطية للمواقف الدينية. فمساهمة المرأة المادية في دخل الأسرة، خصوصا في الأوساط القروية حيث تكون الحاجة الاقتصادية ملحة، قد تُحدث قطيعة مع الأفكار المجردة التي تكرس لدونية عمل المرأة أو حصره في حدود التربية والرعاية . هذا الاشتباك اليومي مع الواقع الاقتصادي مكن من فسح المجال لتأويلات دينية أكثر انفتاحا، تُنتجها نساء أنفسهن أو حتى رجال دين منفتحون، تعيد الاعتبار لقيم الكرامة والعدل وتقوض الخطابات الذكورية التي كانت تحتكر تفسير النصوص .

لقد كشفت الدراسة عن مفارقة سوسيولوجية كبرى تعيشها المرأة القروية العاملة في منطقة السهول: فهي، من جهة، ركيزة اقتصادية أساسية للأسرة بفعل حاجتها المادية الملحة، ومن جهة أخرى، تظل محاصرة بتمثلات ثقافية ودينية تعيد إنتاج هشاشتها الرمزية. إن خروجها إلى العمل المأجور لا يؤدي بالضرورة إلى تحول خطي في التصورات النمطية المسندة إلى الدين، بل يخضع لجدلية معقدة بين البنى الاقتصادية (التي تدفع نحو التغيير) والبنى الرمزية (التي تقاومه أو تستوعبه). وسنعمل على تحليل هذه الجدلية من خلال ثلاثة محاور كبرى: آلية تحويل رأس المال

الاقتصادي إلى رأس مال رمزي، واستراتيجيات إعادة إنتاج الهيمنة الذكورية بصيغ محدثة، وشروط إمكانية حدوث قطيعة حقيقية مع الخطاب الديني المسيطر.

1. العمل المأجور وإمكانية تحويل رأس المال الاقتصادي إلى رأس مال رمزي

تُظهر النتائج أن مجرد حصول المرأة على دخل مادي لا يكفي لزعزعة التصورات الدينية المعارضة لخروجها، بل يتطلب الأمر توفر شروط موضوعية تسمح بتحويل هذا المكتسب الاقتصادي إلى رأسمال رمزي بالمعنى البورديوهي. أي ذلك الاعتراف الاجتماعي الذي تحوله الجماعة لبعض الممارسات أو الامتلاكات، فيكسب صاحبها مكانة وهيبة تمكنه من ممارسة سلطة رمزية داخل الحقل الاجتماعي. في سياق الدراسة، نجد أن النساء ذوات العمل القار (3%,33) اللواتي يعبرن عن تغير ضعيف في المواقف الدينية، قد نجحن جزئيا في تحويل استقرارهن الوظيفي إلى نوع من الاعتراف الاجتماعي. فالعمل المنتظم والدخل الثابت يمنح المرأة حضورا في الفضاء العام لم يعد استثنائيا، بل أصبح جزءا من النظام اليومي المعترف به ولو ضمنيا. هذا الاستقرار هو ما يمنحها هامشا مناعة نسبي ضد الضغوط الاجتماعية، ليس لأن المجتمع قبل مبدأ عملها، بل لأن واقعها المادي أصبح حقيقة يصعب إنكارها. في مقابل ذلك، نجد أن النساء المشاركات في الأنشطة الفلاحية (الرعي، السقي، العمل في الحقل) هن الأكثر تعبيرا عن تغير قوي جدا في المواقف الدينية (30%). هنا، لا يتعلق الأمر فقط بالدخل، بل بنوعية العمل ذاته. فالعمل الفلاحي، رغم كونه تقليديا وغير مهيكل، هو عمل إنتاجي ملموس يرتبط مباشرة بتوفير قوت الأسرة. في السياق القروي، حيث الهوية الاجتماعية مرتبطة بالأرض والإنتاج الفلاحي، فإن مشاركة المرأة في هذا المجال تمنحها شرعية إنتاجية أقوى من تلك التي تمنحها لها الأعمال الخدمية أو التجارية الهامشية. إنها تصبح شريكا حقيقيا في ديمومة الأسرة المادية، وهذا الموقع الإنتاجي يضعف الخطاب الديني الذي يحصر وجودها في الوظيفة البيولوجية (الإنجاب والتربية) والدور المنزلي. أما النساء اللواتي تعيل أسرهن الأم فقط (43,8%) ويعبرن عن تغير قوي جدا، فحالتهن تمثل نموذجا متطرفا لهذا التحول. هنا تغيب السلطة الذكورية التقليدية تماما، وتصبح المرأة هي المعيل الوحيد. في هذه الحالة، يصبح الرأسمال الاقتصادي الذي تجلبه المرأة ليس مجرد مكمل، بل هو الرأسمال الأساسي والوحيد أحيانا. هذا الوضع يفرض على المجتمع إعادة النظر في موقفه، ليس عن قناعة، بل عن اضطرار.

2. استراتيجيات إعادة إنتاج الهيمنة الرمزية في ظل التحول الاقتصادي

تكمن عبقرية آليات الهيمنة الذكورية-كما حللها بورديو-في قدرتها على إعادة إنتاج نفسها حتى

عندما تتغير الشروط المادية التي قامت عليها. فالمجتمع الذكوري لا يرفض عمل المرأة بشكل مطلق، بل يخضعه لشروط ويعيد تأويله بما يخدم استمرارية البنية الرمزية الأبوية. تتجلى هذه الآلية بوضوح من خلال وضعية الأمهات (26,1%) اللواتي يعبرن عن تغير ضعيف. فالأمومة، التي هي في الأصل وظيفة بيولوجية واجتماعية، يتم توظيفها هنا كترخيص ضمني للخروج إلى العمل. المجتمع يقبل عمل المرأة الأم، ليس لأنها فرد له حقوق اقتصادية، بل لأنها أم مسؤولة عن توفير احتياجات أبنائها. هنا، يتم إعادة تأويل عملها كامتداد لوظيفتها الأمومية، وليس كاستقلال عنها. فالخطاب يقول ضمنيا: أنها تعمل من أجل أطفالها، وليس من أجل ذاتها. هذا التبرير يحافظ على جوهر الهيمنة، لأن عمل المرأة يفهم كتضحية وواجب عائلي وليس كحق أو خيار شخصي. من جهة أخرى، نجد أن وجود الزوج كمعيل مشارك (33,3%) يخفف من حدة التغير. في هذه الحالة، يُنظر إلى عمل المرأة على أنه مساهمة تكميلية، وليست مسؤولية أساسية. وجود الزوج يمنحها درعا ذكوريا يحميها من الانتقاد المباشر. لكن هذا الغطاء نفسه يعيد إنتاج التبعية الرمزية، لأن شرعية وجودها في العمل تأتي من خلال الزوج وليس من خلال ذاتها. هي زوجة تعمل قبل أن تكون عاملة. هذه الآليات تؤكد ما ذهب إليه بورديو من أن العنف الرمزي يعمل عبر إضفاء الشرعية على علاقات الهيمنة بجعلها تبدو طبيعية، بل وجعل المهيمن عليهم أنفسهم يساهمون في إعادة إنتاجها دون وعي. فالنساء القرويات، حتى وهن يعملن ويجلبن الدخل، قد يتبنين الخطاب الذي يبرر عملهن كضرورة أو استثناء، مما يحول دون تحول هذا العمل إلى أداة لتفكيك البنية الرمزية الأبوية.

3. شروط إمكانية القطيعة : نحو حراك ثقافي مواز

إذا كان العمل المأجور لا يؤدي تلقائيا إلى تحول التصورات النمطية للمواقف الدينية، فما هي الشروط التي تجعل هذا التحول ممكنا؟ إن دور الوعي هنا جوهري. فالمرأة التي تعمل وتدرك أن عملها ليس مجرد ضرورة وقتية بل هو حق ومساهمة مجتمعية، والتي تستطيع أن تواجه الخطاب الديني المعارض بتأويلات بديلة (كرامة المرأة، حقها في الكسب، مسؤوليتها المجتمعية)، هي التي يمكنها أن تحول ممارستها الاقتصادية إلى مصدر قوة رمزية. هذا الوعي لا ينمو في فراغ، بل يحتاج إلى تنظيم جماعي وفضاءات للنقاش، وإلى إعادة قراءة للنصوص الدينية من منظور حقوقي نسائي، كما تفعل بعض الحركات النسائية الإسلامية اليوم. كما أن التغيير يحتاج إلى حاملي مشروع بديل داخل المجتمع القروي نفسه: رجال دين منفتحون، مثقفون محليون، نساء رائدات استطعن كسر الصورة النمطية. هؤلاء يمكنهم أن يوفروا للنساء العاملات خطابا موازيا يشرعن عملهن من داخل المرجعية الدينية نفسها، مما يحرم الخطاب الذكوري من احتكار التأويل.

إن الصراع إذن ليس بين المواقف الدينية والعمل النسائي المأجور، بل بين تأويلات دينية مغلقة تكرس الهيمنة، وتأويلات دينية منفتحة تطلق الطاقات الإبداعية النسائية. هذا الصراع التأويلي هو صراع ثقافي بالدرجة الأولى، وهو شرط ضروري لكي لا تبقى المكاسب الاقتصادية مجرد حل مؤقت لأزمة معيشية، بل تتحول إلى رافعة لتغيير عميق في البنى الرمزية التي تحكم العلاقات بين الجنسين.

خلاصة :

يخلق هذا الخروج أرضية خصبة لمراجعة هذه التصورات. فمساهمة المرأة المادية في دخل الأسرة، خصوصا في الأوساط القروية حيث تكون الحاجة الاقتصادية ملحة، قد تحدث قطيعة مع الأفكار المجردة التي تكرس لدونية عمل المرأة أو حصره في حدود التربية والرعاية. هذا الاشتباك اليومي مع الواقع الاقتصادي مكن من فسح المجال لتأويلات دينية أكثر انفتاحا، تنتجها نساء أنفسهن أو حتى رجال دين منفتحون، تعيد الاعتبار لقيم الكرامة والعدل وتقوض الخطابات الذكورية التي كانت تحتكر تفسير النصوص.

غير أن هذه العلاقة ليست حتمية أو خطية. فكثيرا ما تعيد الأوساط القروية إنتاج العنف الرمزي ذاته الذي تحدث عنه بورديو، ولكن بأدوات جديدة. يمكن للمجتمع أن يقبل عمل المرأة قسرا تحت ضغط الحاجة، دون أن يسقط عنه الوصم الاجتماعي أو يغير قناعاته الدينية الراسخة. ينظر إلى عملها على أنه ضرورة مؤقتة أو استثناء تفرضه الظروف، وليس كتحول مشروع في أدوارها. بل وقد يتم توظيف الخطاب الديني نفسه لإضفاء الشرعية على هذه الاستثناءات مع الإبقاء على البنية الرمزية الأبوية سليمة. فالنقاش لا يدور حول جوهر الدين، بل حول كيفية تسييل عمل المرأة وإخضاعه لمنطق السوق، بينما تظل السلطة الرمزية والتفسيرية في يد المؤسسات التقليدية التي قد تعيد إنتاج الهيمنة بصيغ محدثة. لذا، فإن تأثير خروج المرأة القروية إلى العمل المأجور يبقى رهينا بمدى قدرتها على تحويل هذه الممارسة الاقتصادية إلى رأس مال رمزي يمكنها من مقارعة التأويلات الدينية المساندة للهيمنة الذكورية، وهو ما يستدعي وعيا جماعيا ونضالا ثقافيا موازيا للنضال الاقتصادي.

قائمة المراجع:

- بورديو، بيير، الهيمنة الذكورية. ترجمة: سليمان فعفراني، مراجعة: ماهر تريمش. بيروت: المنظمة العربية للترجمة، 2009، ط.1.

- جون سكوت، جوردون مارشال، موسوعة علم الاجتماع، المجلد الثاني، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2007.

- حب الله، حيدر. «عمل المرأة. دراسة في ضوء معطيات الفقه الإسلامي.» مجلة العلوم الشرعية، 2014.

- سورة الأحزاب، الآية 33.

- سورة التوبة، الآية 105.

- سورة النساء الآية 29.

- مجموع فتاوى ومقالات الشيخ ابن باز: 4/ 293.

- محمد عاطف غيث. قاموس علم الاجتماع. دار المعرفة الجامعية، 2000.

- Charrad, Mounira M. Gender in the Middle East: Islam, State, Agency. Annual Review of Sociology, vol. 37, 2011, pp. 417-437.

- DULONG, Delphine. La résistible ascension des femmes: revue de littérature sur la féminisation des métiers à dominance masculine. Bulletin de l'Académie Nationale de Médecine, 2021, vol. 205, n° 8, p. 970-975. DOI: 10.1016/j.banm.2021.06.014.

- Glas, S., Spierings, N., Lubbers, M., & Scheepers, P. (2019). How polities shape support for gender equality and religiosity's impact in Arab countries. European Sociological Review, 35(4), 1-17.

- Héritier F. Masculin, féminin. La pensée den la différence. Paris: Odile Jacob, 1996.

- Jiang, W. "The Cultural Devaluation of Feminized Work: The Evolution of U.S. Occupational Prestige and Gender Typing in Linguistic Representations, 1900 to 2019." American Sociological Review, vol. 90, n°. 5, Oct. 2025, pp. 755-787. Scopus, doi:10.1177/00031224251362351.

- Mernissi, Fatima. Beyond the Veil: Male-Female Dynamics in Modern Muslim Society. Indiana University Press, 1987.

- Moghadam, Valentine M. Modernizing Women: Gender and Social Change in the Middle East. 3rd ed., Lynne Rienner Publishers, 2013.

- Pierre Bourdieu, La Domination masculine, Paris, Éditions du Seuil, 1998.
- Rieu, A., «Agriculture: un métier masculin investi par les femmes», Guichard-Claudic, Y., Kergoat, D. et Vilbrod, A. (dir.), L'inversion du genre. Quand les métiers masculins se conjuguent au féminin... et réciproquement, Rennes, PUR, 2008.
- Sidani, Youssef. "Women, Work, and Islam in Arab Societies." Women in Management Review, vol. 20, n°. 7, 2005, pp. 498-512.
- Spierings, Niels. Women's Employment in Muslim Countries: Patterns of Diversity. Palgrave Macmillan, 2015.